PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

براديغم الخطاب الاسلامي في البيئة الاتصالية بين المتغيرات الاجتماعية ومقاصدية الشريعة الاسلامية.

Paradigm of Islamic discourse in the communicative environment between social variables and the purposes of Islamic Sharia.

ابراهيم يحياوي.

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، yahiaoui_19@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 14/ 07/ 2023 تاريخ القبول: 01/ 09/ 2023 تاريخ النشر: 30/ 11/ 2023

ملخص:

لقد سعت هذه الدراسة لمعرفة أهم المشكلات التي تواجه الخطاب الاسلامي المعاصر، ومعرفة أين يكمن الخلل؟ هل يرجع ذلك إلى قصور في المنهج أم هي علل يعاني منها عقل وقلب المسلم؟ أم غياب الرؤية المقاصدية عند المتأخرين من المسلمين اليوم بكل اتجاهاتهم وطوائفهم وانتماءاتهم؟ وهذه محاولة بحثية للتنقيب عن مكامن الخلل التي تقوض الخطاب الاسلامي وتمنعه أن يرتقي إلى عظمة الاسلام من منظور مقاصدي، ليصبح خطابا يحترم الانسان وواقعه الاجتماعي المتغير؛ وتحكمه عدالة ميزان الشريعة المبنية على مقاصد كلية وجزئية غايتها أن تجعل الانسان يعيش السعادة في الدنيا والرضوان في الاخرة .

الكلمات المفتاحية: (براديغم؛ بيئة؛ مقاصد؛ شريعة؛ تغير؛ خطاب)

Abstract:

This study sought to identify the most important problems facing contemporary Islamic discourse, and to find out where the defect lies. Is this due to shortcomings in the curriculum, or are they ills that the mind and heart of the Muslim suffer from? Or the absence of a vision of objectives among later Muslims today with all their orientations, sects and affiliations? This is a research attempt to explore the defects that undermine the Islamic discourse and prevent it from ascending to the greatness of Islam from the perspective of my intentions, to become a discourse that respects man and his changing social reality. It is governed by the justice of the balance of Sharia, which is based on total and partial objectives, whose purpose is to make a person live happiness in this world and contentment in the Hereafter.

Keywords:*(paradigm; purposes ; discourse; change; environment; Sharia)*

1.مقدمة:

أضحى الخطاب الاسلامي عرضة لمجموعة من الانتقادات سواء الذاتية أو من الطرف الآخر، وذلك نتيجة للوضعية الاجتماعية والثقافية التي ما فتئت تتغير بتغير الواقع البيئي للإنسان من كل جوانبه، وذلك بفعل الثورة المعلوماتية والتكنولوجية التي يعيشها إنسان اليوم، هذا الواقع الجديد بكل ما يحمله من قيم ومعايير جعلت من -الخطاب الاسلامي- يضع نفسه في زاوية محدودة عاجزا عن التكيف مع الوضع الجديد؛ إن العالم الاسلامي اليوم يعيش في مرحلة الدورة الحضارية المعروفة ب (مرحلة فقدان التوازن)، ولهذا كل مخرجات حركيته سوف تكون غير متوازنة، طبعا كونها مرتبطة بتلك الاسباب (نفس الاسباب تؤدي إلى نفس النتائج ولكن بنسبية الفيزياء) هذه الوضعية أثرت على الخطاب الاسلامي مما صيّرته يُرَاوِحُ حالة الروتين والرتابة والقولبة الجامدة التي تؤدي إلى الملل والسآمة والنكوص وفقدان مقود السير الحضاري.

إن الموضوع تعرض للعديد من الدراسات في السنوات الأخيرة، ووضعت له جملة من الحلول كمخرج لهذه الوضعية، ولكن الوضعية لم تتغير وبقى الخطاب الاسلامي يكرر في نفس التوجه، ولم يعرف التحسن المرجو منه، وخاصة على مستوى المؤسسات الاسلامية المعروفة في العالم الاسلامي؛ مما يجعل الناظر يفترض أن كيان الأنسان المسلم لا زال مرتبط بالدورة الحضارية (مرحلة فقدان التوازن)، ومن الصعب أن تطلب من هذا الانسان الارتقاء إلى مرحلة أخرى تفوق عقله ونفسيته ومشاعره."لقد حاول كثير من الكتاب والباحثين معالجة الفجوة بين العقل والواقع في الخطاب الاسلامي وجاءوا في ذلك بمعالجات قيمة وأبحاث مفيدة، ولكنها لم تترك أثرا عميقا في الحياة الفكرية، ومازال الباب مفتوحا لمحاولات من أجل الوصول بالخطاب الاسلامي إلى القدرة على طرح حقائق التدين وعقيدة التوحيد لإحياء الامة ولتزكية واقعها والنهوض بأحوالها وأداء دورها بعيدا عن الغلو الذي يفسد الحياة ويخرج الدين عن مهمته ووظيفته، والوصول إلى القدوة على تجنيد الامة لتتكامل أدوار العاملين وتنمو قدرتهم على التحاور والتعاون".(أدهمي، 2006، 273)

وفي الأخير كان سعينا هو إثارة الموضوع باعتباره ظاهرة مقلقة؛ فهو يحتاج إلى دراسات متعددة ومتواصلة نتيجة لأهميته القصوى في حياة المسلمين، وباعتبار الخطاب الاسلامي وسيلة من وسائل الاتصال الفعالة في المجتمع، والمطلوب من القائمين عليه استغلاله وتفعيله في الواقع من أجل تقديم الإسلام في صورته الصحيحة كما عرفه جيل الصحابة رضي الله عليهم وبمتغيرات عالمنا اليوم، وكذلك مقارعة للهجمة الشرسة للوسائل الاتصال الحديثة على المجتمع الإسلامي لحمياته وتنوير طريقه نحو نهضة حضارية جديدة . نعتقد أن هذه الدراسة تسعى للبحث عن المنهج السليم المطلوب اتباعه في الخطاب الاسلامي المرتبط برؤية مقاصدية ذات أهداف كونية، وإنسانية وإجتماعية، وحضارية خاصة مع البيئة الاتصالية الجديدة (الافتراضي، الرقمي، المعلوماتي...) إنها بيئة جديدة تحمل معالم متغيرة ومتحورة ومتجددة.

2. الإشكالية:

انطلاقا من رؤية الاسلام العامة للكون أن شريعته تنطلق من مبدأ المقاصدية، وهذه ميزة عظيمة ميزت الاسلام عن غيره من الاديان وفهمها المسلمون الأوائل، وتكاد أن تغيب اليوم من حياة المسلمون. إن استيعاب وفهم مقاصد الشريعة الاسلامية الكبرى يجعل الانسان يحيى حياة الايمان، ويبتعد عن حياة الضنك، لأن المقاصد هي تلك المسطرة التي تحدد لك أن زاوية الاتجاه قائمة على الحقيقة الناصعة، وأن الميلان يكون واضح وأن إنحرافه يؤدي إلى الخطأ . فحياة الانسان على ظهر هذا الكوكب نظمته شريعة الاسلام وفق مقاصد كبرى عظيمة؛ إذا ما تم استيعابها والعمل بها غابت في دنيا الناس تلك السلوكات المدمرة لحياة

الانسان والكون ككل، والمسلم في حياته يحتاج إلى فهم واستيعاب مثل هذه المقاصد التي تأخذه نحو الحياة السعيدة في المعاش والمعاد.

إذا اعتبرنا الشريعة الاسلامية نظمت حياة الناس وفق مقاصد عظيمة من أصغرها سلوكا وحكما مثل " لا تضرب الدابة على العثار ولكن أضربها عن النفار" إلى أعلاها " إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن" إن المقاصد العظيمة والنبيلة المنظمة لحياة الناس والمجتمعات تجعل من الرؤية واضحة في مسيرة الحياة، وأن الهدف نبيل والغاية واسعة كاتساع هذا الكون ورحمة الله أعظم، وإن تعكر حياة الناس اليوم هو عدم فهمهم لهذه المقاصد العظيمة؛ فكانت النتيجة أن ضاقت عليهم الدنيا رغم اتساع كونها، وقد يبدوا العيب في من يتزعم من أهل العلم والفكر والحكمة هذه الاشكالية الذين حولوا حياة الناس إلى ضيق وفتن وتشاحن وخلاف، وغاب صوت الفهم السليم والصحيح لمقاصد الشريعة الاسلامية .

عرفت البشرية في القرن الاخير تغيرات اجتماعية وثقافية كبيرة نتيجة الاكتشافات العلمية الكبيرة والمتسارعة، مما أحدثت انفجارا معرفيا رهيبا بفعل التكنولوجيا الفائقة وظهور المجتمعات الرقمية في حياة الناس، وانتقل الانسان في عملية التواصل من العالم الواقعي إلى العالم الافتراضي بكل حيثياته العلمية، وما هو قادم حسب مؤشرات مخابر البحث يوحي بعوالم قد تتجاوز عقل هذا الإنسان، وفي ظل هذه الوضعية الحياتية وغيرها؛ فإن مقاصد الشريعة الاسلامية تبقى ثابتة القيمة ومتجددة الحلول والتكيفات الافتراضية. لماذا لأنها احكامها مقاصدية، وتبحث دائما عن مصالح العباد في الآجل والعاجل، وتسعى إلى دوما إلى إيجاد الوضعيات التي تتطابق وفق فطرته السليمة .

لكن يبقى المنهج السليم والواضح والمفيد مجهولا يبحث عن أهل العلم والفكر والحكمة من يتزعمون الخطاب الاسلامي الموجه للأمة وللبشرية جمعاء، هذا الخطاب الذي من المفروض أن تحكمه مقاصد الشريعة الاسلامية لكي لا يظل أو يظل، لا تحمه أهواء البشر واتجاهاتهم الفكرية وانتماءاتهم العرقية وغيرها. وفي هذا صدد يقول الشاطبي "تنزيل العلم على مجاري العادات تصحيح لذلك العلم وبرهان عليه إذا جرى على استقامة، فإذا لم يجر فغير صحيح".(الشاطبي، د ن، 120). إن الخطاب الاسلامي اليوم قد نقول أنه يعيش أزمة أو قد نقول ينتابه خلل من حيث المنهج والرؤية في فهم واقع الناس الذي يتغير ويتجدد بين لحظة وأخرى. نعم توجد جملة من التساؤلات التي تطرح اليوم عن أزمة الخطاب الاسلامي وتحتاج إلى إجابات عميقة وسليمة وصحيحة، والمطلوب أن تكون هذه الاجابات من طرف أهل العلم والفكر والحكمة، ويفضل أن تكون مؤسساتية بعيدة عن الفردانية.

إن الإشكالية تستوجب طرح التساؤل التالي: ما هو الثابت في الخطاب الاسلامي؟ وما هو المتغير الذي يخضع لمقاصدية الشريعة الاسلامية؟ وكيف يفهم وكيف يقدم؟ وكيف تخاطب به الامة؟ وكيف تحقق به المقاصدية؟ وكيف نخطاب الناس من خلال تذكيرهم بمحاسن الشريعة في كمالها واهتمامها بمصالح العباد في الدنيا والآخرة؟. إن كثير هي الدراسات التي تناولت الخطاب الإسلامي المعاصر وأشارت إلى وجود خللاً من خلال خلط وضبابية في فهم الثوابت وتمثُّلها في واقع حياة الأفراد وحياة الأمة؛ مما يجعلنا ندرك أن ما أصاب الخطاب الإسلامي المعاصر من تشوهاتٍ تفسر إلى حد كبيرٍ حال الأمة المريضة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية المعاصرة.

ومنه يمكن طرح جملة من التساؤلات العميقة الرصينة التي تبحث عن حلول حقيقية لا حلول ترقيعية هشة تبقي الاشكالية في موضعها، إن الاجتهادات الفردية محمودة ومطلوبة، ولكن لتعقد الاشكالية وتشعبها من المطلوب أن تكون حلول مجتمعية يشارك فيها الجميع تحت مظلة العمل المؤسساتي، ومنه يمكن طرح التساؤل الرئيسي: هل مشكلة الخطاب الاسلامي هي قصور في المنهج أو خلل في عقلية ونفسية المسلم ؟ ومنه تتفرع هذه التساؤلات الجزئية فيما يلي:

- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب مغموس في التاريخ ؟
- هل عجز الخطاب الإسلامي أن يفرض نفسه كبديل في عالم الكوكبية؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب الدين أم خطاب التدين ؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب تراث السلف أم خطاب معارف الخلف ؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب المقاصدية أم خطاب الحرفية ؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب التهوين أم خطاب التهويل ؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب العقلانية أم خطاب الحرفية ؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب الثابت أم خطاب المتغير؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب الخصوصية أم خطاب الكونية ؟
- هل الخطاب الإسلامي هو خطاب التواصل أم خطاب الذوبان ؟
- هل الخطاب الإسلامي ميزانه الوحي، أو ميزانه نفسيات وعواطف البشر؟
- هل الخطاب الإسلامي هو تكريس للانحطاط، أم هو بحث عن الذات الضائعة؟

-ما سبيل لبناء نموذجا سليما وصحيحا يعيد الخطاب الاسلامي إلى مركزيته صراطه المستقيم؟

-ما سبيل لبناء نموذجا سليما وصحيحا يعيد الخطاب الاسلامي إلى مركزيته صراطه المستقيم؟

3.الاهداف: تهدف هذه الدراسة إلى جملة من الاهداف من أهمها مايلي

-معرفة أهم العوائق التي جعلت من الخطاب الاسلامي يعيش الاشكاليات والتحديات .

-معرفة أهم الحلول التي تجعل من الخطاب الاسلامي أنه يعود إلى السكة الصحيحة.

-معرفة كيف نؤسس لنموذجاً هادفا يعيد بناء الخطاب الإسلامي المعاصر على ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها .

-معرفة الفهم العلمي الصحيح والبين للسنن وطبائع البشر حسب حاجاتهم وواقعهم الاجتماعي.

-معرفة المسار الصحيح للخطاب الاسلامي وفق رؤية واضح تقنع العقول، وتستهوي النفوس، وتستجيب لحاجات الإنسان وتوقيض الفطرة السليمة فيه.

4.المفاهيم:

1.4.مفهوم الخطاب Discourse

أ.مفهوم الخطاب لغة: جاء في المعجم الوسيط كلمة الخطاب بمعنى الكلام ، وفي التنزيل العزيز" فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب" ، وفصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخطاب. وفي التنزيل العزيز "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" وفصل الخطاب: الحكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء، أو أن يفصل بين الحق والباطل، او هو خطاب لا يكون فيه اختصار مخل، ولا إسهاب ممل".(المعجم الوسيط، 2004، 243)

ب.مفهوم الخطاب اصطلاحا: تتحرك المعاني المعجمية لكلمة خطاب من الفكر إلى الكلام في أشكاله المتنوعة، ومن هناك إلى المناقشة المثبتة أو النص، أحيانا مع توجه تلقيني كما في الموعظة، أو قطعة استدلالية مبسوطة".(بينيت طوني، وآخرون، 2010، 322) هو التعبير عن الأفكار بالكلمات، أو محادثة بين طرفين أو أكثر، أو معالجة مكتوبة لموضوع ما، أو حوار أو كلام".(عبد الكافي اسماعيل:2003، 224) وعليه فإن الخطاب في حالات كثيرة يعد تعبيرا عن أديولوجية الأفراد والجماعات، باعتبار أن الأدلولوجية مجموعة منتظمة ومترابطة من الافكار والأحكام والمعتقدات الخاصة بجماعة ما في نظرتها للواقع وللجماعات الأخرى ويعتبر تعدد الخطابات تعبيرا عن صراع الايديولوجيات المتنافسة، ومن هذا تمثل اللغة الاداة المعبرة عن هذا".(الرجبي، 2012، 31)

كم يمكن فهم الخطاب بأنه " تواصل لغوي ينظر اليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي. والنص تواصل لغوي (سواء شفاهي أو مكتوب) ينظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في اداتها السمعية أو البصرية".(سارة ميلز، 2016، 15)

ويمكن إعتبار أن الخطاب الديني هو الاقوال والنصوص المكتوبة التي تصدر عن المؤسسات الدينية أو عن رجال الدين، أو التي تصدر عن موقف أيديولوجي ذي صبغة دينية أو عقائدية، والتي يعبر عن وجهة نظر محددة إزاء قضايا دينية أو دنيوية".(الرجبي، 2012، 33) وإذا اعتبرنا أن الخطاب الاسلامي هو خطاب مصدره ديني؛ فإن بعض الباحثين يرون أن الخطاب الاسلامي يؤشر إلى مجمل الرموز والاشارات التي تصدر عن مرجعية معينة، تشكل صورتها ومظهرها العام، وتبرز خطوطها الفكرية، عبر عملية تواصل بين هذه المرجعية الفكرية والجمهور، في عملية تفاعلية يكون فيها الخطاب وسيلة لا غاية؛ حيث حول الايديولوجيون الخطاب من وسيلة لغاية بحد ذاتها، دون النظر إلى ما وراء الخطاب".(الرجبي، 2012، 34)

ج .مفهوم خطبة الجمعة: هي وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرف الداعي أو يعرف بعضهم فقط . ويشترط للخطبة الناجحة أن تكون لدى الداعي معنى أو معاني معينة يريد بنائها ولفت الأنظار إليها ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس، من ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية، كأن يكون الذين يخطب فيهم ممن تكثر فيهم العصبية القبلية، فيحثهم على أضرارها وحكم الإسلام فيها".(عبد الكريم زيدان ،1990، 474).

د.مفهوم الخطاب الإسلامي: هو الخطاب الذي تكون مرجعيته الشريعة الاسلامية أي القرآن والسنة سواء كان مصدرها شخص أو جماعة أو مؤسسة، ويتخذ أشكلا متعددة مثل الكلام أو الخطبة أو المحاضرة وغيرها ويمكن تعريفه ب" الاتصال بالناس لتبليغهم دين الاسلام، وتعليمهم أياهم، وتطبيقه في واقع الحياة، أو إبلاغ الناس بدعوة الاسلام في كل زمان ومكان ، بالأساليب والوسائل التي تناسب أحوال المدعويين" (بن أرشيد، 2008، 10) فإن الخطاب الاسلامي هو مضمون الدعوات التي تحمل عنوان الاسلام على جدارة واستحقاق، وأسلوب طرح تلك المضامين بين الشدة واللين،...والالتزام بالتبشير لا التنفير وبالتيسير لا التعسير ، وفق اللين لا العنف والتعصب؛ فجميع ذلك ثابت الأصل، متجسد مباشرة من النصوص المحكمة والقواعد التشريعية الأصولية".(حبيلة، 2015، 82)

2.4.البراديغم: Paradigm مفهوم استعمله أفلالطون حيث كان يعني به المثال أو النموذج الصور الحسية والأعيان المادية Paradigma ، كما استعمل في النحو اليوناني بمعنى المعيار أو القاعدة أو المثال

المعياري. لكن طوماس كون أعاد إحيائه ويرجع إليه الفضل في إغنائه واستعماله في أفق إبيستمولوجي، وبالرغم من أن "كون" لم يحمل مفهوم برادايم أو النموذج على محمل دلالي واحد، إلا أن نواته الدلالية لم تكن تخرج عن منظومة القيم ولمعايير والأدوات التي يتوسل بها العلماء في حقبة تاريخية معينة، لتفسير جملة من الوقائع التجريبية، أو الاجابة عن عدد من القضايا والإشكالات المطروحة".(سبيلا، والهموزي، 2017 ،78)

3.4ـالبيئة:Envinment هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان وتتكون من التربة والماء والهواء والبشر، أي هي محيط الإنسان الحيوي، ويقصد بها عادة في العلوم الاجتماعية الانظمة المختلفة التي يعيش فيها الانسان مثل النظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي ونظام القيم وشبكة التفاعلات في مختلف جوانب البيئة الاجتماعية، أي أنها الجزء من المحيط الاجتماعي والثقافي والمادي الموجود خارج النظام السياسي المعين".(عبد الكافي إسماعيل، 2003، 103) واستعملت كلمة طوق environ للمرة الاولى في القرن الثالث عشر في عدد من المعاني التي تصور ما يحيط بالذات الانسانية، للدلالة على ما يحيط بالشيئ طبيعيا او فزيائيا، وما يجاوره او يطوقه. كما إنها كانت تعني جعل دائرة حول الشيئ، وتطويقه وحصره. وأول استعمال معروف للبيئة يساوي بين المصطلح وبين شيئ ما مثل الظروف".(بينيت طوني، وآخرون، 2010، 150)

4.4ـ التغير :Change هو كل تحول اجتماعي يطرأ على بنيات المجتمع من خلال فترة معينة، فهو يهم كل تغير مادي أو رمزي، يحدث تبدلات في انماط العلاقات وأشكال الوظائف والدوار ونظام الرموز والقيم والتصورات. فالتغير الاجتماعي يعده "روشي" هو ما يغير مسار الأداء الاجتماعي للأفراد والجماعات، وما يهم البناء الاجتماعي داخل سجل زمني محدد، لا يكون معه عابرا وسريع الزوال".(سبيلا والهرموزي، 2017، 142)

5.4ـ المقاصد: مفهوم مفصلي في الفلسفة الظاهرتية، تحول مع " هوسرل" ليصبح خاصية مميزة للوعي ، ومتجذرة فيه، تجعله وعيا بشيئ ما، أو وعيا منفتحا على العالم، ومشدود إليه".(سبيلا والهرموزي، 2017، 288).

أ ـ مقاصد الشريعة: المقاصد لغة جمع مقصد، من قصد الشيئ وقصد له، وقصد إليه، من باب ضرب، بمعنى طلبه وأتى إليه وأمه، وهو مصدر ميمي من الفعل الثلاثي قَصَدَ والقصد هو الطلب، أو إثبات الشيئ، أو الاكتناز في الشيئ، أو العدل فيه. وفي الاصطلاح هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة وأثبتتها الاحكام الشرعية، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان، وحدد العلماء مقاصد الشريعة بأنها تحقيق مصالح الناس في الدنيا والاخرة، في العاجل والآجل ومصالح الناس في الدنيا هي كل ما فيه نفعهم وفائدتهم ، وصلاحهم وسعادتهم، وخيرهم وراحتهم، وكل ما يساعدهم على تجنب الاذى والضرر، ودفع الفساد والهلاك عاجلا أو آجلا في الحاضر والمستقبل".(السليماني، 1992، 185)

وفي تبيين أهمية المقاصد يقول الامام الجويني "ومن لم يتفطن لوقوع المقاصد في الأوامر والنواهي فليس على بصيرة في وضع الشريعة" ويؤكد كذلك أهميتها الامام **عزدالين بن عبد السلام** فيقول "كل مأمور فقيه مصلحة الدارين أو أحدهما وكل منهى عنه فقيه مفسدة فيهما أو في إحاهما" كما ينحو **الامام ابن تيمية** نفس المنحى فيقول "كل ما خرج من العدل على الجور، وعن المصلحة على المفسدة، ومن الحكمة على العبث، فليس من الشريعة".(بن زغيبة، 1992، 177)

بـالمفهوم الاجرائي: نعتبر الخطاب الاسلامي هو كل ما يصدر عن المؤسسات الاسلامية أو رموز شخصية في شكل خطبة جمعة أو فتوى أو حديث تلفزيوني أو دروس مسجدية أو منشورات صوتية أو غير صوتية أو في

مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك وفق مقاصد الاسلام العامة والجزئية البينة والواضحة وبعيدا عن العبثية أو الانحراف غير المبرر.

5: الخطاب الإسلامي ومشكلة النموذج

قد يبدوا أن الخطاب الاسلامي أضحى غير قادر على استيعاب المنهج الصحيح الذي تملكه الامة من خلال ركيزتين عظيمتين وهما كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويتضح ذلك من خلال الحديث النبوي الذي رواه الامام أحمد، قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال: **" وذاك عند أوان ذهاب العلم".قال قلنا : يارسول الله . وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: " ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة ولإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيئ".**

ويمثل المنهج بالنسبة للخطاب الاسلامي ضرورة من ضرورات الفكرية، إذ من شأنه تجميع الطاقات وتنظيمها وتنسيقها لخدمة أهداف محددة، بطريقة تجمع بين الإتقان وحفظ الجهد والوقت. وبغياب المنهج يصير خطابنا الاسلامي ضربا من الفوضى الفكرية المبعثرة للجهود والمهدرة للطاقات، وهو ما يفقد عنصر الاضافة النوعية والفعالة ويحرمها العطاء المتجدد المبدع".(بوكروشة، 2006، 172) . وتنطلق السيطرة على الخطاب بوصفها ممارسة اجتماعية فحسب بل تنطبق ايضا على عقول الذين يتحكم بهم، أي التحكم بمعرفتهم وآرائهم واتجاهاتهم وإيديولوجياتهم وكذلك تمثلاتهم الشخصية أو الاجتماعية، وبصورة عامة، قد تكون السيطرة على العقل غير مباشرة ومقصودة، ولكن قد تكون نتيجة ممكنة أو محتملة لعواقب الخطاب، وهكذا ربما يسيطر الذين يتحكمون بالخطاب بصورة غير مباشرة على عقول الناس؛ لأن أفعال الناس مرهونة بعقولهم (المعرفة والمواقف والأيديولوجيات والأعراف والقيم) فالسيطرة على العقل تعني ايضا السيطرة غير المباشرة على الأفعال، وقد تكون مثل هذه الافعال خطابية، لذلك قد يؤثر الخطاب القوي بصورة غير مباشرة في الخطابات الاخرى التي تصب في منفعة من هم في السلطة وتخدم مصلحتهم".(تويت فان دايك، 2014، 45) المسلمون لا يعانون من أزمة خطاب انساني قادر على الاستجابة لتطور الحياة بشكل عام، أو أزمة منهج بشكل خاص، يوضح المقاصد، ويبين الاطار المرجعي، ويقدم الانموذج التطبيقي في السيرة والبيان التفسيري في السنة، وإنما الذي نعاني منه فإنه يتمثل في أزمة التعامل مع هذا المنهج، أو مع هذا الخطاب الاسلامي الخالد، وإيداع الاليات والكيفيات التي تؤهلنا لحسن التعامل معه وتنزيل أحكامه على واقع الحياة، وتقويم مشكلات الواقع بقيم هذا الخطاب في القرآن والسنة، والتعامل معه من خلال فقه الواقع بكل مكوناته واستطاعاته".(عبيد حسنه، 2006، 581)

6. الخطاب الإسلامي والرأي العام:

إن الرأي العام أصبح يراقب كل التصرفات والأقوال والأفكار الصادرة عن كل من يتصدرونا الخطاب الاسلامي سواء أفراد أو هيئات، ويحللها بحسب الأوضاع القائمة بالمسجد أو البلد ليتخذ موقفا بشأن قائلها . وإذا كان الخطباء في السابق يخافون من عصا النظام ويخشون سطوته فإنه اليوم يخافون الجماهير، ووسائل التفاعل الاجتماعي والخطاب اليوم أصبح تتحكم فيه متغيرات ومستجدات تتحدى المكان والزمان " ولما كانت مرضاة الله هي غاية الإنسان المؤمن، وهي التي يسعى الإمام لنيلها من خلال خطابه المخلص والوفي، فإن ذلك لا يمنع الخطاب المسجدي من النظر فيما حوله من متغيرات وأحداث، مع الأخذ بعين الاعتبار جميع

الآراء والأفكار التي تتفاعل في محيطه ليغربلها ويزينه بميزان الشريعة الإسلامية، ثم ليتخذ إزائها موقفا ويعطي فيها رأيه بعيدا عن العواطف المتشنجة والعصبيات المنحرفة والتحيزات الضيقة ".(أبو عبد الله ، 1991 ، 32).

7. مضمون الخطاب الإسلامي :

إن مضمون الخطاب الاسلامي مرتبط بكليات عامة وجزئيات خاصة تعطيه الثبات في المنهج والمبادئ في إطار سياج مميز عن غيره، ولكن في نفس الوقت تفتح له باب الابداع والاجتهاد انطلاقا من خلفيته الحضارية المبنية على التسامح والتعاون والتكافل والسلام واحترام الآخر وغيرها من القيم الاجتماعية والثقافية، وتنبذ الاحادية والتعصب والعنصرية ومعادات الاخر. إن مضمون الخطاب الاسلامي من المطلوب أن يكون وفق هذه المعايير الرسالية العظيمة التي تدعو إلى التنوير وبناء الانسان الذي هو خليفة الله في الأرض لكن ما نراه اليوم متداول من خطابات قد تدعو إلى القلق بحكم كونها أنها لم ترتقي إلى مستوى عظمة هذا الدين الحنيف. إن إشكالية الخطاب الكبيرة تتمثل في تجريم وتأثيم الفعل النقدي، الذي أدى إلى غياب النقد والتقويم وتيجة فقدان التوازن الحضاري؛ مما أدى إلى بروز الظاهرة بشكل مقلق ومزعج، وقد يرجع إلى أسباب أخرى منها " إنعدام المراجعة والمناصحة والتجديد بسبب تلبس خطاب المسلمين الذي هو في نهاية المطاف اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب محتاج للنقد والمراجعة والتقويم، بقيم الكتاب والسنة".(عبيد حسنه، 2006، 557)

إن مضمون الخطاب الاسلامي لا يمكن أن يبقى هكذا تتجاذبه أهواء ونفسيات وانطباعات بشرية، والمطلوب أن هذا الخطاب الذي يقوم بمهمة البلاغ المبين هو الخطاب الذي يصدر عن عقلية واقعية مقاصدية منضبطة في النظر إلى النصوص والتراث والواقع، والتجديد كذلك هو الجهد المبدع لاستنباط الوسائل المؤثرة المناسبة لتزكية الواقع بمبادئ الوحي الخالدة".(أدهمي: 2006، 297) وانطلاقا من هذا الواقع الذي تعيشه الامة الاسلامية يمكننا إبراز أهم مضامين الخطاب الاسلامي وهي:

1.7 مقاصدية الظاهر والباطن :

إن نظرة القرآن الكريم لظاهر الانسان وباطنه كانت صريحة في هذه الايات القرآنية " **إلا من أتى الله بقلب سليم" الاية 89 سورة الشعراء**- وقول الرسول" صلى الله عليه وسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**" .رواه مسلم. فكانت نظرة الاسلام للإنسان شاملة؛ كنظام حياة شامل وهي نظرة التوازن الميزان لكي لا تطغى المظهرية على حياة الناس مما ينجر عنها مخالفات ومخادعات نفسية واجتماعية، إن من يضعون مرتبة الاخلاق فيه دون مرتبة العبادات والمعاملات؛ وأن المخالفة الاخلاقية ليست بأهمية المخالفة في العبادات، أو المخالفة في المعاملات ليست بأهمية المخالفة في العبادات؛ إن فقه الفرد الذي ينظم علاقة الانسان بربه أهم وأولى من فقه المجتمع وفقه الدولة الذي يتناول تنظيم مؤسسات الدولة والمجتمع. ونتكلم عن الامانة والخيانة في معاملات الافراد اليومية دون أن يكون للفساد الاداري واستغلال المنصب الاداري في خدمة الاغراض الشخصية نصيبا من هذا الكلام".(بوكروشة، 2006، 177) بمثل هذه التصورات نكون قد انحرفنا عن مقاصد الاسلام التي تدعوا إلى توازن الانسان . إن انعراج الفكر يؤدي إلى انعراج الصورة والتي تؤدي بدورها تصدع في العمل والسلوك؛ لقد تحدث كثير من العلماء عن التحيل والحيل في الدين واعتبروها مخادعة لله ومكر وتلبيس انطلاقا من القاعدة الشرعية" **العبرة في الشريعة بالمقاصد والنيات"** امتثالا لقوله: صلى الله عليه وسلم "**إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" أخرجه البخاري** . إن انتشار مرض الحيل والتحيل لا يكاد يرى له سببا إلا الحرفية والطقوسية التي سيطرت على صياغة وفهم الفقه والتي

أبعدت الأمة عن الوعي بالمقاصد وعن الاهتمام بالنيات والنظر إلى مآلات الافعال عند التدين بالإحكام الشرعية ومحاولة تنزيلها في واقع الناس. وقد أورد الامام ابن القيم عند كلامه عن الحيل أكثر من مائة مثال من الاحكام التي يتحيل المتحيلون لإبطالها، وكل الامثلة هي تصرفات مكلفين في أعمالهم وأحوالهم ومعاشهم، وفي كل مثال يصدق الكلام عن وجوب فهم مقاصد الشارع في أحكامه على المكلف العادي في خاصة نفسه وعلى يستفتى في هذه المسائل على حد سواء".(أدهمي، 2006، 277) ومن الضرورة أن يعمل الخطاب الإسلامي على إزالة الغموض والتلبيس التي تؤدي إلى هلاك الفرد وخراب المجتمع.

2.7.مقاصدية التنزيل والتأويل :

لقد طرح في القديم القديس الجزائري **أوغسطين** سؤال: ماذا يعني أن نفسر ونؤول؟ (صبطي وبخوش، 2009، 10) (والمقصد هو تأويل النصوص المقدسة) إن نصوص التنزيل تحتاج إلى تفسير وتفقيه ومعرفة مقاصدها لتنزيلها على واقع الناس فيشربون من منابعها الصافية ليستقيم حالهم ومؤالهم، وفقه التدين هو منهج تنزيل الدين في واقع الحياة اليومية، ويسميه الشاطبي - الاجتهاد المتعلق بتحقيق المناط – بموازاة الاهتمام لفقه الدين وهو منهج فهم النصوص الدينية واستنباط الأحكام الشرعية منها، وبمثل هذا التوازن في النظر يتعافى المسلم من علل التدين المغشوش. يقول **الشاطبي**: معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران : أحدهما أن علم المعاني والبيان، الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فظلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الاحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان آخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الاباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيئ منه، ومعرفة الاسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه الثاني، وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات ومورد للنصوص الظاهرة مورد الاجمال حتى يقع الاختلاف وذلك مظنة وقوع النزاع".(الشاطبي، جزء 3، ص347)

3.7.مقاصدية تراث السلف ومعارف الخلف:

إن نظرة المتوازنة للعقل والنفس من ترى أن تراث السلف هو انجازا بشريا لا نقدسه فيصبح في مرتبة النصوص ولا نبخسه فنظلم أهله ونقطع الحبل السري قبل ولادة جنينه، بل الحكمة أن نستقي من منابعه ما نحتاجه بعقل الثاقب الفقيه لعصره ومصره، ونترك ما استنبطت ونظرت لزمانه ومكانه . إن الخلف يجلس على ثروة عملاقة بناها السلف ولكن تحكمها احكامها ومقاصدها، والخلف من حقه أن يجتهد ويبدع ويبني تراث جديدا يضاف إلى انجاز السلف، والدورة الحضارية لا تتوقف عند جيل بعينه أو مرحلة تاريخية معينة بل سنن الله في الكون سائر إلى يوم الدين. إن العلم بالإحكام فقد فصل فيه الكتاب والسنة من أجل أن يتربى عليه الانسان وليس من أجل صرف العمر في تحصيل الحاصل واستفراغ الجهد في الخلافات الفرعية، إن الاولويات المقلوبة هي التي هدرت الطاقات الذهنية والإمكانات البشرية في غير مجالها".(بن نصر، 2006، 78) من الحكمة أن يسند الخطاب الاسلامي ظهره على تراث السلف ويضع بصره على معارف الخلف بعقل الانسان البصير الحادق لا الانسان المكبل البليد .

4.7.مقاصدية التجديد والتبديد :

إن التجديد لا يعني الهدم والتبديد، التجديد يعني الإبقاء على الطابع الأصيل والخصائص المميزة والأسس الثابتة، والتجديد هو الاجتهاد والبحث عن الحلول الانية وقد تكون مستعجلة لقضايا شائكة أو متجدد تفرزها ظاهرة التغير والتغيير داخل المجتمع، وأن تتوافق مقاصد الشريعة ولا تخرج عن الخط الثابت والصحيح غطائها الاستقامة وباطنها الرحمة ولنتذكر كلمة **الأمير شكيب ارسلان الذي قال " إنما يضيع الدين بين جامد وجاحد ينفر الناس منه بجموده، وهذا يضلهم عنه بجحوده، ومن لم يتجدد يتبدد ومن لم يتقدم يتقادم"**

إن الخطاب الاسلامي من مخرجاته أنه تلقيني يستعمل طريقة تسلطية في التعليم لا تنتج في الغالب سوى قوالب بشرية ذات معرفة آلية، غير قادرة على التعاطي مع مختلف الاطروحات سواء على مستوى الفهم أو الاستيعاب أو التحليل والنقد . قوالب بحاجة دائما إلى من يفكر لها ويحدد الرأي الذي يجب أن تتبناه، لأنها عاجزة عن المشاركة في أي مرحلة من مراحل الاقناع وتشكيل الرأي، وعلى الخطاب الاسلامي أن يتحاشى أسلوب التلقين ويتبنى أسلوب الحوار، الذي يضمن له دورا فعالا في تكوين القناعات وصيانة الاهتمامات".(بوكروشة، 2006، 180) ولو عدنا إلى صدر الاسلام وتمعن في سيرة الرسول" صلى الله عليه وسلم " وكيف كان يتعامل مع صحابته بأساليب تربوية رفيعة من الشورى إلى الحوار المفتوح إلى أسلوب الحكمة إلى أسلوب الاقناع المنطقي إلى التسامح والاخذ بالرأي الاخر إذا كان صائبا ويحقق المقاصدية...الخ.

5.7. مقاصدية الإبداع والإتباع:

أهل الخطاب الإسلامي مطالبون بأن يهتموا بمقاصد الشريعة فهي تحدد للمجتهد المسالك الصحيحة وتضعه في ميزان العدالة فلا يضل ولا يطغى بل يكون عدلا وسمحا غايته تحقيق مقاصد الشريعة في واقع الناس، ويرى الشاطبي أن لكل حكم حكمه أو غاية هي مقصود الشرع من أصل تشريعه من ثم فإن قصد المكلف في العمل ينبغي أن يكون موافقا لقصد الله في التشريع حكما ومقصدا معا حيث يقول في ذلك قصد الشارع من المكلف أن يكون قصده في العمل موافقا لقصد الله في التشريع، ومن ابتغى بتكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، ومن ناقض الشريعة فعمله في المناقضة باطل فما يؤدي إليها باطل" وفي هذا الاصل على وفاق مع الامام ابن تيمية الذي يقول: كل ما خرج من العدل إلى الجور، وعن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبث، فليس من الشريعة".(عبد السلام الشريف، 1992، 222)

6.7.مقاصدية التهوين والتهويل :

قد يحكم على الخطاب الاسلامي المعاصر بأنه تاها بين نقيضين : الاتجاه الاول يدفعه إلى التهويل وتصوير المجتمع والعالم بأنه وحش وأن نهاية المسلمين وحضارته قد دنت واقتربت، وأن نسيج نظرية المؤامرة قائمة إلى قيام الساعة، فهو خطاب هستيري مقلق يثير العصبية والعنصرية والطائفية ويشكل فقاعات لا تكاد أن تنتهي بمجرد حركة بسيطة لها، ويقابله خطاب آخر ليس بعيدا عن مصباته ونتائجه إنه خطاب يهون الامور والحقائق حتى يخرجها عن سياقها، خطابا يعتبر كل ما نراه ونسمه ونعيشه هو نتاج طبيعي وحركة اجتماعية تمر عليها البشرية، ولكن بني هذا وذاك تكمن الحقيقة وهي خطاب الحكمة الخطاب المتوازن الذي تضبط رقاس ساعته. إنها المقاصدية فهي تبعد الشبهات وتزيح ركام الجهل وتمنع الافعال والأقوال نابعة من محض تصورات عقلية ونفسية بشرية قد يغيب عنها الوعي ويحضرها الاخلاص.

إن هذا الخطاب الموجه للمسلمين وإلى الصغار قبل الكبار ما هو على شاكلتها، هي جهل وتخليط في الخطابات، وهي توظيف سلبي للدين والقداسة، وقد انتهت ترهيباتها إلى تكوين نفسية العبيد بين ابناء الامة تلك النفسية التي تتسم بالفردية والسلبية والخوف؛ وأفسد حياتها وهمشها وجعلها في مؤخرة ركب الأمم، أداءا وقدوة وكرامة".(أبوسليمان، 2006، 131)

8.7. مقاصدية الثابت والمتغير :

يعاني الخطاب الاسلامي الحديث نوعا من المثالية الحالمة والمنقطعة عن الواقع، وربما يعود ذلك إلى كون الخطاب مازال يتغذى من الموروث الفقهي القديم ولم يدرك بعد حجم الهوة التي باتت تفصل بين ماضي المسلمين وحاضرهم . لا ننسى هنا أن المدونة الفقهية والاصولية الاسلامية وجل المفاهيم المعبرة عن تراثها وعظمتها قد تشكلت في أوضاع السيادة السياسية للمسلمين، ومن ثم كان الخطاب الإسلامي له سمة خاصة، فهو لا يتغير ولا يتبدل في جوهره أي في ثوابته الأساسية المرتكزة على مكونه الشرعي مهما تغيرت العوارض في الزمان والمكان والأحوال والأشخاص .أما المكون الشرعي ففيه الاجتهاد والتطوير بما يراعي المخاطبين وظروفهم العامة والخاصة زمانا ومكانا وأحوالا".(عصام البشير، 2009، 12)

إن غياب الرؤية الواضحة لمن تصدروا الخطاب الاسلامي مما جعلهم يخلطون في المفاهيم والتي تجرهم إلى مواقف وأحكام عن غير وعي ما بين ما هو ثابت وما هو متغير. إن التصلب الذي نلحظه في الخطاب الاسلامي يعكس غياب الانسان الحر الذي يمتلك أدوات التفكير ويمتلك أدوات الفعل. وطرح القضايا بهذه الصيغة التقابلية تجعله بالضرورة خطابا يتسم في بعض حالاته بالاقصائية، والنزعة إلى التنافي عمقتها مناخات الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي".(بن نصر، 2006، 105)

إن غياب الوعي بمائلات اللأمور ومقاصدها تجعل الكثير لا يدرك ولا حتى يفرق بين ما هو مصلحة وما هو مفسدة "إن الاعمال إذا تأملتها مقدمات نتائج المصالح، فإنها أسباب لمسببات هي مقصودة للشارع، والمسببات هي مآلات الأسباب بإعتباره (أي المسببات التي هي مقاصد الشارع) في جريان الأسباب (أي في وقوع أفعال الانسان) مطلوب".(النجار، 1992، 256). إن إدراك ووعي مثل هذه القواعد تجعل من المسار صحيح والغاية محققة. "إن سنن الله والأسباب والنواميس والقوانين المفردة موصولة إلى تحقيق المقاصد وإدراك النتائج وطلب من الإنسان استيعاب هذه السنن والأسباب بعد أن شرعها له وخاطبه بها، ودل عليها بالعبرة التاريخية والحجة المنطقية والبرهان المحسن .يقول الامام الجويني " ... وعاينت في عهدي الائمة ينقرضون ولا يخلفون، والمتسمون بالطلب يرضون بلا ستطراف ويقنعون بالأطراف، وغاية مطلبهم مسائل خلافية يتباهون بها أو فصول مغلفة وكلام مزيف في المواعظ يستعطفون بها قلوب العوام والهمج الطغام، فعلمت أن الأمر لو تمادى على هذا الوجه لا نقرض علماء الشريعة عن قرب وكثب ولا يخلفهم إلا التصانيف والكتب".(أدهمي، 2006، 279) إذا التفريق بين الثابت والمتغير مطلوب ولا يتم ذلك إلا بالعلم والحكمة من إنزالها على واقع الناس وفق مقاصدها لا عن طريق أهواء ونفسيات أشخاص مهما علت مرتبتهم، وشاعت أخبارهم وتصانيفهم.

10.7.مقاصدية التنظير والتطبيق :

ما فائدة أن ننظر ولا نطبق؟ طبعا الاجابة بديهية لا توجد فائدة، وبذلك ندخل في دائرة الذم يقولون ما لا يفعلون، والمطلوب أن ننظر للقضايا التي تكون قابلة للتطبيق في حياة الناس "فقه النصوص الشرعية وذلك بتأمل والتدبر لآيات القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفقه الكون والحياة، وقراءة

الواقع من منظور فقه الاولويات ومراتب المقاصد، والابتعاد عن السطحيات والشكليات في معالجة الامور وتعقيداتها، الاعتماد في دراسة الواقع على المناهج والأساليب العلمية التي تلتزم الدقة في استخدام العبارات الوجدانية، قراءة الواقع قراءة شاملة، لا تجزيئية، جماعية لا فردية".(علي سعيد اسماعيل، 2006، 55)

ويؤكد العلماء أن من أهم شروط الفتوى في الدين معرفة الواقع بقرائنه وعوارضه وأحواله، وأن أهم موارد الاختلاف بين العلماء هو مدى معرفتهم بالواقع ومآلات الافعال فيه يقول الامام ابن القيم " ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب، على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضل وأضل".(أدهمي، 2006، 280) وفي هذ المجال يقول الرسول صلى الله عليه وسلم".(...**حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" رواه مسلم**

إن فهم الواقع المعاصر اليوم واستيعابه، والبحث في اشكالاته بمنظور علمي رصين ومحاولة إيجاد حلول تتماشى مع واقعه من منظور مقاصدي؛ مما يجعل هذا التنظير يتوافق مع التطبيق لأنه نزل بمنازل الناس ولم يكن مجرد أوهام .

11.7.مقاصدية الخصوصية والكونية: ومع ظاهرة الموجة الرابعة من الانفجار المعرفي التي كانت من مخرجات الطوفان التكنولوجي للآلة الرقمية وظهور المجتمعات الافتراضية؛ فإنه بدت للعيان الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات البشرية في الذوبان والاختفاء، وسيطر الاتجاه الكوكبي (العولمة) على حياة الشعوب والامم؛ مع وجود مقاومة للبعض الآخر، مما انجر عنها ظهور ثقافة الغالب وإختفاء ثقافة المغلوب، لأن العالم الافتراضي اليوم لا يعرف الحدود الجغرافية والسياسية؛ مما جعل عملية التواصل الانساني تصبح لا يتحكم فيها بمثل هذه العوامل التقليدية. إن التواصل الانساني اليوم هو مشروع دون الذوبان في قيم الآخر مع العيش المشترك قوامه الاحترام والتسامح والسلام والأمن والتعاون والاستقرار، وإنطلاقا من هذا فإن الخطاب الاسلامي" هدفه توسيع مدارك الانسان حتى يستوعب خلافه مع غيره في إطار مجتمعه، وتدريبه على تقبل الرأي المخالف، والاستعداد للتعاون معه لمصلحة الجميع، وإلى تقارب الشعوب، وصنع ثقافة السلام القائم على العدل بين جميع الناس وكل الأمم، لأن معرفة مبادئ الحوار والوعي بالكيفية المثلى لممارسته وتمثله فكرا وسلوكا أضحى اليوم ضرورة ملحة، وخيارا استراتيجيا، والتزاما إنساني".(علي سعيد اسماعيل، 2006، 58)، بمعنى منع الذوبان والامتناع عن المواجهة الانتحارية، وإنما التكيف الاستراتيجي والإرتقاء إلى التوازن الحضاري، ومنه على الخطاب الإسلامي المعاصر أن يوازن بين خصوصية كل بيئة ومتعلقاتها الظرفية وبين عموم الرسالة، وتوجه نحو الكوكبية لدعوة الآخر إلى منهج الاسلام العظيم من خلال رسائله أي تحترم الانسان مهما كان جنسه أو لونه أو عرقه أو لغته إلى العيش بسلام على ظهر هذا الكون . يجب أن تبنى احكامنا على غيرنا انطلاقا من مواقفنا وعلاقاتنا معهم على أساس التمييز والتصنيف والترتيب، لا على أساس الخلط والتعميم والتسوية، إن التعميم والتسوية بين الناس وطوائفهم، وحشرهم في سلة واحدة، وبأوصاف واحدة، ونظر ضحل ومسلك سهل، يفضله السطحيون والعاجزون عن البحث والتدقيق والتمييز".(الريسوني، 2006، 166). نحن نؤمن بالكوكبية التي تجعل الانسان يعيش حرا في هذا الكون ويرفض العبودية البشرية، هذا الكون يجمع كل طوائف البشر باختلاف أصولهم وأديانهم وأهدافهم تجمعهم خاصية الانسانية، والخطاب الاسلامي مطلوب منه أن يدرك هذه الحقائق ويبني رؤيته وغاياته وأهدافه على مقاصد شريعة الاسلامية لا على أغراض وأهواء ونفسيات بشرية تصيب وتخطئ.

8. خاتمة : لقد حاولنا مناقشة موضوع مهم سبقنا إليه الكثير من الباحثين من حيث الطرح والتحليل والنقد، وكان سعينا هو إعادة إثارة الموضوع لكون الاشكالية لا زالت قائمة، وأن الخطاب الاسلامي قد تشعبت طرقه ووسائله، خاصة في البيئة الافتراضية التي أتاحت له فرصة كبيرة لإبراز منهجه وقوته وأصالته وصحته؛ مما جعلنا نخشى كبوته وانحرافه في ظل وضع يتسم بشراسة التدافع القيمي والحضاري. إن طموحات الكثير من أبناء هذه الامة الاسلامية أن يرو الخطاب الاسلامي في مصاف الخطابات المتميزة، والتي تبني ولا تهدم، والتي تجمع ولا تفرق، والتي تتفائل ولا تتشائم، مقاصدية المنهج، واقعية الفهم والطرح، وما يمكننا أن نوصي به في هذه الدراسة :

-أن تكون من سمات منهج الخطاب الاسلامي :

-أن يقدم الإسلام منهجا مرتبطا بالزمان والمكان، موصولا بالواقع مشروحا بالغة العصر.

-أن يجامع بين النقل الصحيح والعقل السليم .

-أن ينفتح على الاجتهاد والتجديد وفق منهج النظر والاستدلال ومقاصدية الشريعة.

-أن يحافظ على الثوابت في الكليات والأصول، وأن يكون مرنا في الجزئيات والفروع .

-أن يتكيف مع تطور في الوسائل وينتفع بكل جديد منها.

-أن ينفتح على كل حضارات العالم بلا هدم ولا ذوبان.

-أن يبحث عن الحكمة من أي وعاء منتفعا بفضلها وخيرها.

الإحالات والمراجع:

1.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط.4، (القاهرة: مكتبة الشروق العربية، 2004)، ص243

2.أبو عبد الله، الخطاب الإسلامي ورياح التغيي، مجلة التذكير، العدد 10(1991)، ص32

3.أبوسليمان عبد الحميد أحمد، الخطاب الاسلامي المعاصر وتشوهات الخلط والتسطيح، كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات،(الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006)، ص131

4.أدهمي رياض، الخطاب الاسلامي ومنهجية المقاصد، كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات،(الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006)، ص ص277-279-280-297

5.بينيت تطوني وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، (مترجم: سعيد الغانمي)، ط.1،(بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010)، ص150-322

6.بوكروشة حليمة، الخطاب الاسلامي المعاصر المنهج والاليات، كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات،(الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006)، ص 172-177-180

7.بن نصر محمد، الخطاب الاسلامي والخروج من مأزق الثنائيات، كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات، (الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006، ص78-105

8.بن زغيبة عزالدين، طرق إثبات المقاصدالشرعية عند الامام الشاطبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الاول، (الجزائر: دار الامة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1992)، ص177

9.بن ارشيد، وصفي محمد أحمد، الخطاب الدعوي الاسلامي المعاصر في وسائل الاتصال الجماهيري "المرئية" رسالة ماجستيرفي العقيدة الاسلامية ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ، جامعة آل البيت، 2008)، ص10

10.حبيلة ، الشريف، الخطاب الديني واشكالية المفهوم، مجلةالاداب واللغات ،(الجزائر:جامعة العربي التبسي ، العدد 1 جوان 2015)، ص82

11.ميلز سارة، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط1، (القاهرة: المركز العربي للترجمة ، 2016)، ص25

12.نجار عبد المجيد، فقه التطبيق لأحكام الشريعة عند الامام الشاطبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الاول، (الجزائر: دار الامة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1992)، ص256

13.سليماني عائشة، علم المقاصد عند المام الشاطبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الاول، (الجزائر: دار الامة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1992)، ص185

14.سبيلا محمد، الهرموزي نوح، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الانسانية والفلسفة،ط.1،(الرباط: المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، 2017)، ص78-288

15.عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة،(الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1990)، ص474

16.عصام البشير،(2009)، سمات الخطاب الاسلامي. // http، 2021/08/25)، ص12 www.islamonline.net

17.عبد الكافي اسماعيل، عبد الفتاح، معجم مصطلحات عصر العولمة مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية واعلامية، WWW.Kotobarabia.com. 2003/11/25، ص103

18.عبيد حسنه، قبل أن تحيط بنا أخطائنا، كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات،(الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006)، ص575-581

19-عبيدة صبطي، ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا، ط.1، (الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2009)، ص10

20.علي سعيد اسماعيل، الخطاب الاسلامي رؤية مستقبلية،كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات، (الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006)، ص55-58--224

21.رجعي محمد أحمد محمد، اتجاهات الخطاب الاسلامي في المواقع الالكترونية الاخبارية (تحليل مضمون موقع البوصلة الاخبار)، رسالة ماجستير في الاعلام، كلية الاعلام،(الاردن: جامعة الشرق الاوسط، 2012) ، ص31-33-34

22.ريسوني أحمد، مراجعات في الخطاب الاسلامي المعاص، كتاب جماعي الخطاب الاسلامي المعاصر دعوة للتقويم وإعادة النظر، ط.1، مركز البحوث والدراسات،(الدوحة: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2006)، ص166

23.شريف عبد السلام، أسس المصلحة في نظرية المقاصد عند الشاطبي، مجلة الموافقات، المعهد العالي لأصول الدين، العدد الاول، (الجزائر: دار الامة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، 1992)، ص222

24.شاطبي، الموافقات، ج3، تحقيق عبد الله دراز،(بيروت : دار المعرفة، د.ن)، 120-347

25.توين فان دايك، الخطاب والسلطة، مترجم: غيداء العلي، ط.1، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014) ، ص45